احتلال السلاجقة لبغداد:

بعد أن فرغ طغرل بيك من بسط سيطرته على كل الاجزاء الشرقية من العراق ،لم يبق له إلا أن يتوجه الى العراق ،ويقضي على بقايا النفوذ البويهي في العراق المتمثلة بوجود الملك الرحيم وبقايا الأسرة البويهية في بغداد ولكي يكسب قسما من الجيش البويهي في بغداد نجد ان طغرل بيك يكاتب الجند التركي الذين يشكلون قسما لابأس به من عموم الجند البويهي في العراق ،يعدهم ويمنيهم من اجل كسبهم الى جانبه،خاصة وأنهم اصبحوا اصحاب النفوذ في العراق،حيث اخذوا يعينون ويعزلون ،كما تدخل الجيش الذي سيطر عليه الاتراك امراء بني بويه،ولهذا حاول السلطان السلجوقي كسبهم الى جانبه،كما ارسل وفدا الى الخليفة في بغداد محملا برسالة فيها آيات الطاعة والولاء للخليفة العباسي ،والهدف معروف وهو كسب رضا الخليفة العباسي في بغداد .في تعيين قائد كان الوضع الامني والاداري في العراق غير مستقر ،بسبب تدهور الحكم البويهي ،وبسبب الانشقاق الحاصل بين افراد الجيش البويهي ،وبخاصة بين فرعيه الرئيسين التركي والديلمي ،كما كان الخلاف محتدما بين رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي كان وزيرا لآخر ملك بويهي في العراق وهو الملك الرحيم ،وكان هذا الوزير على خلاف شديد مع الجيش ابي الحارث البساسيري ،الذي اعتنق مذهب الفاطميين لأسباب سياسية وخطب لهم .فضلاًعن ان الخلافة العباسية كانت مهددة من قبل الفاطميين الذين سيطروا على أغلب مدن الشام حتى سيطروا على حلب التي تقع في أعالي بلاد الشام بحدود عام 441هـ 1049 /م (وبعد سيطرة طغرل بيك على الأوضاع في خراسان حدثت ثورةقادها احد انصار البويهيين في ولاية فارس وهو القائد فولاذ صاح بقلعة اصطخر الذي استولى على شيراز وقطع الخطبة للسلطان طغرل بيك وخطب للملك الرحيم ،اخر حكام البويهيين في بغداد ،وعلى الرغم من استعادة الوضع في اقليم فارس من قبل السلاجقة ،إلا أن هذه الحادثة قد حفزت السلطان طغرل بيك ،على القضاء على الوجود البويهي بصورة بمن نهائية في العراق،لأن آخر ملك بويهي مازال موجودا في بغداد اما بغداد فقد اضطربت امورها و صار (كل جندي فيها رأساًلنفسه ،وانقطعت موارد البلاد ((،واصبح الخليفة العباسي وقد فقد الثقة حوله،والملك الرحيم البويهي لايعرف ماذا يفعل ،والوزير أبو القاسم علي بن المسلمة الملقب برئيس الرؤساء ،وجد في مراسلة طغرل بيك مخرجا من مشاكله بوصف انه الأقوى،وربما يستطيع ان يحافظ على نفسه او منصبه على اقل تقدير ،والقائد البساسيري يرى في دخول السلاجقة بغداد زوال لمكانته ،فدخل في صراع مع الوزير وراسل الفاطميينهذه الأوضاع كلها ساعدت طغرل بيك على تنفيذ خطته التي كان قد رسمها لدخول العراق ،ولما تهيأت الظروف كلها لصالحه تحرك بسرعة في سنة 447هـ 1055 /م ،واختار اسرع طريق يوصله الى بغداد ،فوصل الى حلوان ،وطريق حلوان هو اقرب

الطرق للوصول الى بغداد .ولم يجد السلطان البويهي بدا من الرضى بما يحدث بعد أن خذله حنده وقائد الجيش البويهي .ووصلت أنباء تحرك الجيش السلجوقي على أطراف العراق الى سكان العراق ولاسيما سكان بغداد ،فهام الناس على وجوههم وتحيروا في كيفية مواجهة هذا الموقف ،كما تحفز الجيش في بغداد واستعد لما قد يحدث ،وهنا تظهر المقدرة السياسية لطغرل بيك ،في عدم إثارة الناس ضده في بغداد ولكي يطمئن الناس ويمتص غضبهم ويهدئهم حتى يقلل احتمالية تعرض الجيش السلجوقي لأية مفاجئة غير متوقعة ،فارسل وفدا رسالة يطمئن فيها الخليفة العباسي والناس ،إذ جاء في الرسالة،ان القصد من قدومه إلى بغداد هو للتبرك بزيارة بغداد ،ثم يتجه بعدها الى مكة المكرمة لأداء الحج،كما يود ان يعيد تنظيم طريق الحج،لأن الناس تجد مشقة في اداء الحج ،ومن ثم العودة الى بلاد الشام لطرد الفاطميين منها ،واعادتها الى حظيرة الدولة العباسية .وقد انخدعت كل الاطراف بهذه الرسالة بما فيهم الخليفة العباسي ،ولهذا أمر الخليفة العباسي بذكر اسم طغرل بيك في خطبة الجمعة بعد اسم الملك الرحيم البويهي والشكل التالي))السلطان ركن الدولة ابا طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل يمين امير المؤمنين ((وزيادة في الحيطة ارسل طغرل بيك رسولاًآخر الى بغداد يستأذن الخليفة العباسي بالسماح له في دخول بغداد فأذن له ولما وصل طغرل بيك وجيشه الى النهروان ،خرج لإستقبالهم الوزير)رئيس الرؤساء)وضم الوفذ كبار موظفي الدولة من قضاة ونقباء،وعندما علم طغرل بيك بوصول الوفد اليه ارسل الى استقباله الامراء ووزيره ابا نصر محمد ابن منصور الكندري وهو اول وزراء آل سلجوق،ولما التقى طغرل بيك برئيس الرؤساء البلغة رسالة الخليفة))واستحلفه له وللملك الرحيم ولإمراء الاجناد فأجابه .((.

ونصت الاتفاقية على ما يلي 1 :صون الخلافة والحفاظ على هيبتها -1 ...الحفاظ على الامن والنظام في العراق -2الابقاء على الملك الرحيم البويهي لمدة من الوقت لحين مغادرته بغداد توجه طغرل بيك الى بغداد بصحبة الجيش السلجوقي ودخل بغدار في الخامس والعشرين من شهر رمضان من سنة 447هـ 1055 /م ،في موكب ضخم ونزل بباب الشماسية ،والتقى بقريش بن بدران صاحب الموصل،واستقبل طغرل بيك في بغداد اروع استقبال ،واعترف به الخليفة سلطانا على جميع المناطق التي سيطر عليها ،ولقبه بـ))ملك المشرق والمغرب ((،كما تزوج الخليفة القائم بأمر الله من ابنةجغري بيك أخي طغرل بيك وهي)ارسلان (خاتون خديجة ((وبدلاًمن أن يرد السلطان طغرل بيك على احسان الخليفة واهل بغداد ووجوهها بأفضل منه ،قابل الخليفة والملك الرحيم أسوأ مقابلة وأحرج الخليفة العباسي وذلك بالقاء القبض على الملك الرحيم البويهي الذي ضمن الخليفة الحفاظ على حياته ،وأرسله مكبلاًالى سجن في قلعة طبرك في الري ،وقضى على آخر امل للبويهيين في الحكم ،واسدل الستار على دولتهم بعد أن اتهمه بتحريض العامة في بغداد ضد الوجود السلجوقي وان الملك الرحيم هو السبب المباشر لكل ما حدث لم يقف الخليفة القائم بامر

الله موقف المتفرج على ما حدث باعتقال الملك البويهي ،لأن طغرل بيك قد اعتقل الملك الرحيم دون اخذ موافقة الخليفة العباسي ،وعدّهذا العمل اهانة موجهة للخليفة ،وارسل الـ .طغرل بيك ينكر عليه هذا العمل ويهدده بمغادرة بغداد وكتب اليه (:انـ انما خرجوا اليك بامري واماني فان اطلقتهم ،والا فأنا افارق بغداد،فاني انما اخترتك واستدعيتك اعتقادا مني أن تعظيم الأوامر الشريفة يزداد ،وخرمة الحريم تعظم وارى الأمر بالضد .وقد اطلق السلطان السلجوقي بعد هذه الرسالة بعض اصحاب الملك الرحيم ،وصادر اقطاعاتهم ،فتوجه قسم منهم الى البساسيري وانضموا الى حركته كما صادر السلطان السلجوقي أموال الاتراك البغداديين ،كما امتدت اعمال السلب والنهب))من الجاء الغربي من تكريت الى نهر النيل - ((النيل بلدة بين بغداد والكوفةالغز السلاجقة انتشروا في سواد بغداد فنهبوا من الجانب الغربي من تكريت الى النيل ومن الشرقي الى النهروان وأسافل الاعمال،وأسرفوا في النهب ...فنهبوا درب يحى ودرب سليم و به دور رئيس الرؤساء ودور أهله .. ونهبت الرصافة وترب الخلفاء وأخذ منها من الأموال ما لا يحصى،لأن اهل تلك الاصقاع نقلوا اليها أموالهم اعتقاداًمنهم أنها محترمة،ووصل النهب الى أطراف نهر المعلى ،وأشتد البلاء على الناس وعظم الخوف،ونقل الناس اموالهم الى باب النوبي وباب العامة وجامع القصر فتعطلت الجمعات لكثرة الزحمة ((ولم يتوانى السلاجقة عن استخدام القوة ضد النساء والاطفال والشيوخ ،اذ تعرضوا الى الضرب من اجل ارغامهم على تقديم مزيد من الاموال او الادلاء على اماكن وجودها .ولم يكتف السلطان السلجوقي بما صادره من اموال و املاك الملك الرحيم البويهي وامراء اجناده ،وصدق من قال عن الاتراك السلاجقة))لم يترك الترك وردا الا شفهوه ولا حسنا الا سوهوه ولا نارا الا ارشوها ولا دارا الا شعثوها ولا عصمة الا رفعوها ولا وصمة الا رفعوها اجفل الملوك من خوف اقدامهم وتنحوا عن طريق ضرامهم فما جاؤا إلى بلدة الا ملكوا مالكها ،وملأوا مسالكها وارجوا سكانها واسكنوها الرعب ،وغلبوا ولاتها وولوها لغلبكما امتدت يد السلطان طغرلبيك الى اموال الخليفة ،فارسل إلى الخليفة وزيره عبد الملك الكندري ،والخليفة في أسوا حال اذ كان في مجلس عزاء ابنه وولي عهده محمد ،يطلب منه اموالا،فعظم على الخليفة مقدارها فأشاروا عليه بان يطلق يده في أموال الحريم واجاب رسل السلطان بأن)) :مال الحريم مازال مصونا وقد جرى فيه ما رأينا مكافأته في ولدهن ((رافق دخول الجيش السلجوقي الى بغداد نهب وسلب واعتداء على اموال الناس ودورهم ومحلاتهم التجارية التي تعرضت للنهب ،والما دخل عسكر طغرل بيك الى مدينة بغداد ذهب قسم من عسكره الى احد اسواق بغداد للامتيار للشراء من سوق الازج -وأخذ واحداً . أهله ليطلب منه تبناًوهو لايفهم ما يريدون ...فاعتدوا عليه بالضرب فاستغاث عليهم ،وصاح بالعامة بهم ورجموهم وهاجوا عليهم ...وارتج البلد وأقبل منالناس من كل حدب ينسلون يقتلون من الغز من وجد في محال بغداد ((ووقع الاصطدام بين سكان بغداد والجيش

السلجوقي بسبب ما ارتكبه السلاجقة من جرائم ونهب وقتل للأبرياء وقد اشار ابن الجوزي الى ذلك فقال))وثارت بين العوام والاتراك فتنة ،ادت الى قتل واسر فنهب الجانب الشرقي بأسره وذهبت أموال الناس))كما خرج جماعة من أهل بغداد الى ظاهر بغداد وهم يحملون السيوف واصطدموا السلاجق مع ودارت بين الطرفين معركة غير متكافئة قتل فيها الكثير من الطرفين إلا انها اثبتت للسلاجقة قوة أهل بغداد وان اعمالهم لن تمر دون حساب فاضطر السلطان السلجوقي الى اصدار امر بعدم دخول السلاجقة الى بغداد وان يخرج من وجد من السلاجقة في دور الناس ،فضلاًعن اعتذاره الخليفة القائم بامر الله ،كما استاء الخليفة العباسي من هذه خيبة أمله في السلاجقة وفي طغرل بيك شخصيا ونتيجة لهذه التصرفات الاعمال الهمجية وارسل الى السلطان السلجوقي رسالة عبر فيها عن ابداها طغرل بيك توترت العلاقة بينه وبين الخليفة القائم بأمر الله وقد ذكر بان السلطان طغرل بيك ظل أكثر من ثلاثة عشر شهرا دون ان يحظى بمقابلة الخليفة .وانتهى احتلال ليبدأ احتلال جديد وتغير الاسم فقط التي من بويهي الى سلجوقي .ويبدو أن السلاجقة احمدوا بالفتور بينهم وبين الخليفة فارادوا اصلاح الموقف في وقت بدت فيه الخلافة تستعيد هيبتها ،فاصدر الخليفة امرا الى السلطان السلجوقي بالمسير الى الشام لإقامة الخطبة له على منابر الشام ،وقد استجاب السلطان السلجوقي لذلك واصدر امرا امر فيه))العساكر ان يتجهزوا ويبعثوا باحضار كاواتهم -خيامهم -واولادهم واهلهم ليتوجهوا معه الى بلاد الشام.

و- عصر قوه الدولة السلجوقية (عصر السلاطين لاقوياء 447-485هـ/1055-1092م

1-عصر السلطان طغرل بيك:

خلال عصر هذا السلطان حدث امران مهمان الأول قد تكرر لمرتين وهو تمرد اخيه من امه المسمى إبراهيم ينال فقد تمرد عليه قبل احتلال السلاجقة للعراق وذهب السلطان طغرل بيك الى همدان وحارب اخاه ثم عفا عنه واقره في منصبه،انطلاقا من مبدأ الاخوة ،والمرة الثانية كرر تمرده ضد اخيه في وقت حرج جدا بالنسبة للسلاجقة في العراق فهم في اول احتلالهم العراق يحتاجون الى من يقف إلى جانبهم وبخاصة .الأسرة السلجوقية لا أن يتمرد عليهم والدولة في بداية تكوينها وتواب تحديات خطيرة في العراق فأهل بغداد لم ينسوا ما حدث لهم أثناء دخول السلاجقة بغداد،من قتل وتدمير ونهب وتشريد،فقد أصابهم الأذى جميعا ودون استثناء،فضلا عن وجود فتنة يقودها قائد خطر وهو البساسيري في هذه الاثناء اعلن إبراهيم ينال تمرده ضد اخيه الإمهطغرل بيك ،وطالب بالعرش السلجوقي لنفسه ،وهنا تجلت مقدرة السلطان السلجوقي لوضع حد لهذا التمرد الخطير،فقاد جيشا كبيرا وتوجه للقضاء على ثورة اخيه ابراهيم سنة 450هـ 1058 /م ،لكن الهزيمة لحقت بطغرل بيك فاضطر الى سحب باقي الجيش السلجوقي من بغداد لكي يعزز موقفه موفعلا تم

له النصر والقى القبض على أخيه ابراهيم ينال واعدمه لعلم الاسرة السلجوقية في همدان،منعا من تكرار هذا العمل مستقبلا الأمر الثاني الذي يسجل خلال عهد السلطان طغرل بيك هو ما يعرف بحركة أبي الحارث البساسيري لم تكن فتنة أو حركة البساسيري ناتجة عن فراغ،بل سبقتها احداث كثيرة ،ولنعد إلى بداياتها ،إن الجيش البريهي كان يتكون كما ذكرنا من قسمين رئيسيين هما الاتراك و الديلم ولم يحسن القادة البويهيون السيطرة على هذا الجيش بل كانوا يستخدمونه ويسخرونه وفق اهدافهم الخاصة ،أي لم تكن لهم سياسة عامة يسيرون عليها ،والجند الاتراك جيدون ويطيعون ،إذا كان هنالك من يحسن استخدامهم كما رأينا في عهد الخليفة المعتصم بالله والواثق بالله والموفق بالله والمعتضد بالله وكيف كانوا مشكلة بالنسبة للخلفاء المتوكل على الله ومن جاء بعده من الخلفاء،وقد تكرر هذا في أواخر العهد البويهي ،حيث انعدمت القيادة الجيدة ولم يحسن ملوك بني بويه المتأخرين من مسك العصا من الوسط بل شجعوا العداء بين اقسام الجيش،ولم يتخذوا ما يمنع الجفاء بين الطرفين،وضربوا كل الفرق بالاخر حتى اذا تغلب فريق على آخر انقلبوا عليه،وهكذا .ويشير ابن الأثير إلى ذلك في حوادث سنة 379هـ 989م فيقول)) :فوقعت الفتنة بين الاتراك والديلم،واشتد الأمر ،ودام القتال بينهم خمسة أيام ،وبهاء الدولة في داره براسلهم في الصلح قلم يسمعوا قوله ،وقتل بعضهم رسله،ثم انه خرج الى الاتراك وحضر القتال معهم فاشتد حينئذ الأمر،وعظم الشر،ثم انه شرع في الصلح ورفق بالاتراك وراسل الديلم ،فاستقر الحال بينهم،وحلف بعضهم لبعض .ثم ان الديلم تفرقوا فمضى فريق بعد فريق ،واخرج بعضهم ،وقبض على البعض ،فضعف أمرهم وقويت شوكة الاتراك واشتد حالهم .وعندما توسع السلاجقة في خراسان ،كان يتولى قيادة الجيش البويهي ،قائد الاتراك ابو الحارث البساسيري))هو ابو الحارث ارسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدم الاتراك ببغداد،كان من مماليك عضد الدولة بن بويه ،وكان الخليفة القائم بامر الله قد قدمه على سائر الاتراك فاستبد بالسلطة ببغداد،وخطب له على منابرالعراق و خوزستان)منطقة عربستان وتقع الآن في جمهورية ايران الاسلامية .وعظم امره وهابته الملوك ،وعرف بالبساسيري نسبة إلى قرية في بلاد فارس يقال لها بسا او بساسير. ((وكان البساسيري قد اثبت كفاءة في ايقاف نشاط العيارين وكان له دور في القضاء على البرجمي في سلة 425هـ 1033م حيث عين الحماية الجانب الغربي من بغداد وكان الملك البويهي لا يقطع امرا دونه ولا يعين احد الا عن امرة واصبح اليه جباية الاموال ببغداد ،واصبح البساسيري الحاكم المطلق في بغداد وصار يلقب بـ))كافل الخلافة))،ولم يستطع الملك البويهي فعل شيء تجاه تمادي البساسيري في الامور ،فاراد الخليفة اصطناع شخصية تقف بوجه البساسيري سيما وان الخليفة اراد سحب صلاحيات البساسيري بالتدريج،فاختار ابن المسلمة،لكي يقف بوجه البساسيري،واغدق على الالقاب ،فلقبه بـ))رئيس الرؤساء ((و))جمال الورا وشرف الوزراء ((ومنحه صلاحيات واسعة ،حتى قال

البساسيري مرة للخليفه العباسي)) :ما أشكوا إلا من رئيس الرؤساء،الذي خرب البلاد وأطمع الغز وكاتبهم ،وازدادت العلاقة توترا بين الخليفة والوزير من جهة والبساسيري من جهة اخرى ،فقد وقف الخليفة والوزير صراحة ضد البساسيري،اذ استقبلوا ابا الغنائم وابا سعد المحلبان ،وكانا حليفي قريش بن بدران العقيلي صاحب الموصل،اللذان قدما سرا إلى بغداد مولم يكشف ابن الأثير عن سبب الزيارة لهؤلاء الاشخاص الى بغداد،وبدأت المشاحنات تاخذ مداها بين الخليفة والوزير وبين البساسيري اذا اراد البساسيريالقبض على هؤلاء الاشخاص ،فلم يتمكن منهم،وبدأ كل طرف يحبك التهم والمشاكل للطرف الآخر)منع البساسيري سفينة لاقرباء الوزير من المرور في نهر دجيل الا بعد دفع الضريبة ،كما اسقط مشاهرات الخليفة والوزير من دار الضرب واحرق ناحيتي دمما لفلوجة اما الوزير فلم يقف مكتوف الأيدي تجاه تصرفات البساسيري وانما اثار العامة ضده الذين رفعوا شعار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .فكسروا ما يقرب من 600جرة من الخمور العائدة الى ابي سعد النصراني كاتب البساسيري،نهبوا دور البساسيري ونوابه في بغداد (،وقد عبر الخليفة للملك الرحيم عن مخاوفه من البساسيري اذ تبين أنه قد كاتب الفاطميين)) :وان البساسيري خلع الطاعة وكاتب الاعداء،وإن للخليفة على الملك عبودا وله على الخليفة مثلها فان آثره فقد قطع ما بينهما،وان ابعده وأصعد الى بغداد تولى الديوان تدبير امره كما أمر الخليفة القائم بأمر الله الفقيه الماوردي بوضع كتاب في الفقه يحدد فيه صلاحيات. الخليفة ،ليكون دليل عمل لمن يأتي بعده ،ومبينا صلاحيات الخليفة الصحيح وضرورة الاستعانة بالآخرين لوضع حد لأماراتهم في مراقبة الامراء وضرورة الثورة عليهم اذا ما خرجوا عن الطريق لقد اتصل البساسيري بالخليفة الفاطمي المستنصر بالله الملقب بابي تميم ،وطلب منه المساعدة العسكرية والمالية وان يساعده في طرد السلاجقة ،فاستجاب له الخليفة الفاطمي وارسل ممثلا خاصا من قبله وهو))المؤيد في الدين هبة الله بن موسى بن عمران الذي وصل الى الرحبة -تقع الآن في الجمهورية السورية للاشراف على العمليات العسكرية المؤيدة للفاطميين والمناهضة للسلاجقة والخلافة العباسية ،وقد استطاع هذا الممثل من عقد تحالفات مع عددمن الامراء المحليين واغراهم بالخلع والألقاب،وهزم جيشا سلجوقيا في مدينة سنجار)تقع شمال غرب الموصل في العراق وهي احدى القلاع العسكرية المهمة في منطقة الجزيرة الفراتية،واتخذت موقعا عسكريا منذ العهد الروماني وما بعده (،وقد حرض البساسيري وزير السلطان السلجوقي على ضرورة الدخول في طاعة الدولة الفاطمية ،فرفض الوزير ذلك ،لكن البساسيري نجح في احداث انشقاق في البيت السلجوقي ،فتحج في احداث فجوة بين السلطان طغرل بيك واخيه ابراهيم ينال ،فخلت بغداد من الجيش .فدخلها البساسيري،وقتل الوزير ،ونهبت دار الخليفة وغادر بغداد الى حديثة ثم فرضت عليه الاقامة الجبرية في مدينة عنه)تقع غرب العراق على نهر الفرات شمال غرب مدينة الانبار

،وسيمار البساسيري على بغداد وواسط والبصرة ما يقارب العام وخطب للخليفة الفاطميى وبعد القضاء على ثورة ابراهيم ينال عاد طغرل بيك وسيطره على بغداد،ولم ينجد الخليفة الفاطمي البساسيري الذي كان في امس الحاجة المساعدة بسبب عدم ثقة الخليفة الفاطمي بالبساسيري،ولكون مصر تو بأزمة اقتصادية كبيرة سميت بالشدة العظمي ومن ثم ترك البساميري ليواجه مصيره المحتوم قرب مدينة الحلة الى الجنوب الغربي من بغداد (ويقل شر قتلة وبهذا تخلصت الخلافة العباسية والسلاجقة من خطر كبير كان يهددهما .

وبعد القضاء على حركة البساسيري تشغل طغرل بيك بتنظيم امور السلطنة ،ثم ادركته الوفاة في سنة 455هـ 1063 /م ولم يكن له وريث العرش ،وكان طغرل بيك قد تزوج من امرأة اخيه جغري بيك بعد وفاته سنة 451هـ 1059 /م ،فولدت له ولدا اسمه سليمان واستطاعت ان تؤثر في السلطان السلجوقي وان تجعله وليا للعهد وان تخطب باسمه بمساعدة الوزير أبي نصر الكندري ،لكن الب ارسلان حاكم خراسان وما وراء النهر لم يقبل بان يكون تابعا لأخيه الذي لم يبلغ الرابعة من العمر بعد ،فسار بقواته إلى الري بدعمه وزيره أبو علي حسن بن علي بن اسحاق الطوسي الملقب بنظام الملك واستطاع ان يعيد الأمور إلى نصابها وأن يصبح سلطانا ويكون اخيه الصغير وليا للعهد

2-عصر السلطان الب ارسلان :

لكن الأمور لم تستقر لألب أرسلان فقد نار عليه احد اعمامه قتلمش بن اسرائيل ابن عم والده وسيطر على الري فسار اليه الب ارسلان وتخلص منه عام 456هـ 1064/م ،ثم ثار عليه عمه بيغو حاكم هراة لأنه رفض أن يكون تابعا لابن اخيه ،فتوجه اليه آلب ارسلان وأجبره على الاعتراف بحكمه وبالتبعية له .هذا قرر السلطان السلجوقي أن يضع بان نقرأ الخطبة باسمه حدا للتمردات الأسرية فوطد الحكم وعين ابنه ملكشاء وليا للعهد وامرومما عزز موقف السلطان السلجوقي ألب ارسلان وقوف الوزير نظام الملك إلى جانبه،صحيح ان بداية تولى نظام الملك للوزارة قد جاءت عقب مقتل الوزير الكندري الذي قال قبل مقتله برسالة وجهها للوزير نظام الملك)) :قل لنظام الملك بنس ما عودت الاتراك قتل الوزراء واصحاب الديوان ومن حفر قليباًوقع فيه ((وقد ارتفعت مكانة الوزير نظام الملك كثيراًعند السلطان ألب ارسلان ،نتيجة لمواقفه المساندة للسلطان الب أرسلان فخلع عليه الخلع والاقطاعات كما ارتفعت مكانة ابناء نظام الملك كذلك لوجه السلطان ملكشاه رسالة إلى وزيره جاء فيها :ان كنت شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة فلذلك حكم ،وان كنت نائبي وبحكمي فيجب ان تشترم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أولادك قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة،وولي ولاية كبيرة،ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعو لي أن فعلوا كذا وكذا وعندما وصلت رسالة السلطان الى نظام الملك رد على السلطان رد

من كان معتدا بنفسه) :قولوا للسلطان :إن كنت ما علمت اني شريك في الملك فاعلم فانك ما تلت هذا الامر الا بتدبيري ورأيي .....وان ثبات هذه القلنسوة معذوق بهذه الدواة،وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة،ومتى اطبقت هذه زالت تلك ،فان عزم على تغيير فليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه قولوا للسلطان عني مهما أردتم ،فقد أهمني ما لحقني من توبيخه وقت في عضدي ((ولم يجرؤ السلطان السلجوقي على عزل وزيره بل أثر التخلص منه بسلام واتهمت الباطنية بقتله سنة 485هـ 1092/م فكر السلطان لم يعش بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً. ذلك كانت في نية السلطان السلجوقي القيام باعمال عسكرية تجار الفاطميين الذين ابدوا حركة البساسيري من قبل موسيطروا على الشاء وهددوا دولة السلاجقة في العراق ،كذلك كان عليه أن يواجه الدولة البيزنطية التي بدأت بالتحرش بالدولة الاسلامية وبحدودها ورأت از الفرصة مواتية لها لإستعادة امجادها في منطقة الجزيرة الفراتية لكن هذ .الخطة لا يمكن أن تتم بدون تأمين حدوده الشرقية والجنوبية الشرقية فقرر الارتباط بحكامها برباط المصاهرة زوج ابنه ملكشاه بابنة خاقان ملك الخانيين وزوج ابنه ارسلان شاه بابنة صاحب غزنة وهكذا أمر جانب هذه الدول من أن تهدد ممتلكاته في الشرق والجنوب الشرقي فتفرغ لخطته المقبلة بالتوجه صوب بلاد الشام والدولة البيزنطية توجه السلطان ألب أرسلان على مدينة حلب بوصفها مفتاح بلا الشام وقاعدة للانطلاق الى الحدود البيزنطية والتي يحكمها محمود بر صالح المرداسي الكلابي الذي كان قد اعلن ولاءه للدولة الفاطمية في مصر وخطب لها على منابر حلب وهدد اطراف العراق الغربية وعنده علم حاكم جلب بتوجه السلطان السلجوقي البارسلان إلى حلب اعلم ولاءللخلافة العباسية،وخطب لها وطلب التقليد من الخليفة العباسي فوصله التقليد قبل وصول السلطان السلجوقي إلى حلب ،إذ ارسل الخلية القائم بامر الله مبعوثه نقيب النقباء الزيني،فطلب السلطان السلجوق حضور حاكم حلب بين يديه فارسل حاكم حلب ممثل الخليفة ليطلب إعفاءه من الحضور امام السلطان السلجوقي ،فرفض السلطان السلجوقي ذلك وحاصر حلب فغلت الاسعار واشتد الحصار على أهل حلب .فخرجت والدة حاكم حلب يصحبها ابنها وحضرا ليلا إلى خيمة السلطان السلجوقي الب ارسلان واعلن ولاءه للسلطان السلجوقي ،فخلع عليه السلطان وأقره على حكم حلب لم يكتف السلطان السلجوقي بالسيطرة على حلب ،وانما أرسل قواته جنوبا فى فلسطين والرملة والقدس وضمها الى سلطته وحاصر دمشق الا انها صمدت له لكنه جعلها في وضع لاتحسد عليه ،فجميع المناطق المحيطة بها أصبحت تابعة للسلاجقة .بهذه الاعمال المدروسة والمتعقلة اصبح الباب مفتوحا امام السلطان لب أرسلان لكي يتوجه صوب المناطق الشمالية الغربية لإقليم خراسان حيث فتح بلاد الأرمن وسيطر على عاصمتهم القديمة أن ،وسيطر على جورجيا)بلاد الكرج (،وكانت هذه المناطق تشن الغارات على اراضي الدولة السلجوقية وتقف عائقا امام التوجه لفتح الأقاليم

العربية من بلاد الاناضول والتوجه إلى القسطنطينية وفتح الطريق للتوجه إلى كبادوكيا و مناطق غرب عمورية .لقد اثارت هذه الاعمال التي قام بها السلطان السلجوقي أكتب أرسلان حفيظة الامبراطور البيزنطي رومانوسديوجينيس1067-1071)م 464-460هـ (الذي اعتبر المناطق التي سيطر عليها السلطان السلجوقي مناطق بيزنطية يجب الدفاع عنها فقاد جيشا كبيرا ضم كل قادر على حمل السلاح في الدولة البيزنطية والدول الخليفة معها من الروس والأرمن والبلغار واليونانيين والفرنسيين والجورجيين .و توجه شرفا باتجاه بحيرة وان فان) (وكان الب ارسلان قد فرق فواته في مختلف المناطق من الدولة السلجوفية ولم يكن معه سوى خمسة عشرالف مقاتل فاضطر الى التوجه لوقف الزحف الدرر تعطي ،وترك معون مواجهة جيش كبير بهذه الاعداد البسيرة و الدخول في مثل المعركة بعد عملاًالتداريا،فقرر طلب الصلح وعقد معاهدة .الامبراطور البيزنطي .لكن الامبراطور البيربطي رفض هذا العرض وقال ان قواته سوف لن تتوقف الا في قري عاصمة الدولة السلجوقية .فكان لابد من المواجهة وقرر مواجهة الامبراطور البيزنطي في يوم الجمعة والكد على جنده بالتحلي بالصبر والدعوة من الله بالنصر على الأعداء وافكار الحساس الديني في نفوس جنده ومناهم بالنصر أو الشهادة عن والجنة استنادا إلى ما وعد الله به المؤمنين في كتابه الكريم ونزل دابته ومرغ وجهه بالتراب منضرعافى الله سبحانه وتعالى أن يمن عليه بالنصر وجرت المعركة في ظروف غير متكافئة ،لكن الله من على الجيش الإسلامي بالنصر واتر الامبراطور البيزنطي وتشتت جاده وأصبح الآلاف منهم للرى لدى الجيش السلجوقي وسميت هذه المعركة بمعركة ملاذكرد وقد وقعت في سنة 463هـ 1071/م .وقد تم توقيع معاهدة صلح بين الطرفين،نصت على تهدئة لمدها خمسين سنة وأن يدفع الامبراطور البيزنطي الجزية عن نفسه الف الف وخمسمائة الف دينار (وعن سكان بلاده وان يعين الملاحقة بالجند اذا ما طلبوا منهذلك واطلاق جميع اسرى المسلمين الذين في الدولة البيزنطية نتائج معركة ملاذ كرد بعد معركة ملاذكرد من المعارك المهمة في التاريخ السلجوقي بخاصة وبتاريخ الصراع الاسلامي البيزنطي بشكل علم فهي تعطي دروسا عظيمة اكدتها الآيات القرآنية ((قَالَالذين تكون أنهم ملهوا الله كم من فقرة قَلِيلَةٍغَلَبَتْلِفَةٌكَثِيرَة باذن الله وَالله مَعَالصبرين))البقرة .249فعلى الرغم من الاستعدات الكبيرة والتدريبات التي استمرت لثلاث سنوات من قبل الجانب البيزنطي والجيش العظيم الذي حشدته الامبراطورية البيزنطية الا ان الله سبحانه وتعالى ،كتب النصر للمسلمين ولم يكتف المسلمون بالنصر فحسب بل اسروا رئيس الامبراطورية البيزنطية وشتتوا جيشه العظيم الذي ظل يتباهى به امام الدول ولم يكتف بهزيمة جنده فحسب بل هزم معه جيوش الدول المتالفة معه ،وهذا يذكرني بالامبراطورنيوفيل بن ميخائيل الذي فعل الشيء نفسه عندما اغار على ملطية والمصيصة وبقية ،ومن بين النتائج المستخلصة نستنتج ما يأتي: استطاع السلاجقة من تأسيس موطيء قدم لهم في

آسيا الصغرى بعد سيطرتهم على المناطق الجنوبية الغربية من آسيا الصغرى وتوسعوا شيئا فشيئا حتى اسوا دولة سلاجقة الروم برئاسة سليمان قتلمش ب -حفزت هذه المعركة أوربا لإعلان الحروب الصليبية على المسلمين فتم تحشيد جهود كبيرة في أوربا من قبل البابا جريجوري السابع والبابا أوربان الثاني .عصر السلطان ملكشاه485-465 :هـ1092-1072/م تولى ملكشاه الحكم بعد مقتل والده ألب ارسلان في بلاد ماوراء النهر وهو يحارب الثوار الخانيين سنة 465هـ / 1092م ورث دولة السلاجقة المترامية الاطراف ولم يكتف بما ورثه عن أبيه بل قرر مواصلة توسيع رقعة دولة السلاجقة لتشمل كل أرجاء العالم الإسلامي ومما عزز موقف السلطان السلجوقي وقوف الوزير نظام الملك إلى جانبه في كل اجراء اتخذه فاليه يعود الفضل في تأسيس المدارس النظامية في بغداد ونيسابور والمدرسة الحنفية في بغداد ،كما قام ببعض المشاريع الأروائية في العراق السلجوقي ملكشاء على القضاء على الدولة الناظمية وضرورة ضم كل صمم السلطان المناطق الخاضعة لسيطرتها،ولم ينس موقف الفاطميين المؤيد الحركة .البساميري فارسل حملات عديدة للسيطرة على كل بلاد الشام ،وتحولت انظاره صوب بلاد مصر عنها .ولم يفكر ضبط امور بلاد الشام ونظمها ،تحولت معقل الفاطميين وارسل جيشاًكبيراًدخل الأراضي المصرية وحاصر القاهرة،وكاد أن يفتحها المكن استمائة الفاطميين في الدفام مثل هذه الحملة السلجوقية صوب مصر السلاجقة بالتوجه إلى بلاد مصر مرة ثانية وقرروا الاكتفاء بالسيطر على بلاد الشام فقط ،واصلوا ادارتها محبت وضعوها تحت رعاية احد افراد السلطة السلجوقية،وهو تاج الدين تنش سنة 470هـ 1077/م وأمره بتوسيع حدود ولايته بان يفتح ما يستطيع فتحه من المناطق غير الخاضعة للسلطة السلجوقية وان يضمها إلى إمارته توجه تنش الى مدينة حلب لاستعادة السيطرة عليها وضب امورها،فقاد جيشاًوحاصر مدينة حلب بوطال الحصار حتى ضاق امور سكانها وارتفعت فيها الاسعار ،ولما عام الفاطميون بانشغال الجية السلجوقي بمحاصرة حلب،وجهوا جيشا للمطرة على مدينة دمشق واستعادة بلاد الشام ولما حاصرت القوات الفاطمية مدينة دمشو استنجد حاكمها بالامير السلجوقي نقش ،فاسرع اليه لنجدته فانسه الفاطميون عنها فدخلها الجيش السلجوقي بقيادة تتش في عام 1079/ 472م،واتخذها مقرا لإدارته وأسس فيها دولة ملاحقة بلاد الشام ولم يغفل السلطان السلجوقي ملكشاه عن بلادالأناضول دعا الجهود والده الب ارسلان وما حققه في معركة ملاذكرد،فعين أحد لبناء عمومته واليا عليها وهو سليمان بن قلمش في عام 470هـ 1077/م ،وامره بتوسيع نفوذه صوب المناطق التابعة للدولة البيزنطية سيطر على منطقتي أق سرا وقونية وبهذا تأسست لدينا دولة اخرى للسلاجقة في بلاد آسيا الصغرى هي دولة سلاجقة الروم موقتي استمرت في الحكم حتى عام 700هـ 1300 /م .سعى سليمان بن قلمش إلى توسيع نفوذه باتجاه الجنوب الغربي من دولته التي مقرها قونية فتح مدينة انطاكية التي كانت خاضعة للروم البيزنطيين

في ذلك الوقت،وكان فتحها مكسبا جديدا للسلاجقة الذين لطلوا بسيطرتهم على هذه المدينة على البحر المتوسط وحاول سليمان أن يوسع نفوذه أكثر وذلك بالتوجه إلى حلب التي هي من ضمن الملاك تنش،فوقع الخلاف بين السلاجقة،وقد قتل سليمان نتيجة هذا الصراع فاضطر ملكشاهالتوجه فى المنطقة وسوى الامور بين افراد الاسرة السلجوقية وسيطر في طريقه فى بلاد الشام على مدينة الرها التي كانت خاضعة للروم وافر نتش على الشام واقر اولاد سليمان على بلاد الأناضول " وقبيل وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه بحوالي الشهر اغتيل وزيره نظام الملك موقد اتهمت جماعة الحسن الصباح باغتياله بولو انه في حقيقة الأمر هناك أكثر من سبب لهذا الاغتيال منها سطوته الكبيرة على مقاليد الأمور وتنفذه وأولاده في إدارة الدولة السلجوقية،حتى لقد شكا ليه السلطان السلجوقي في رسالة شديدة اللهجة هذا التنفذ والتسلط فاجابهظام الملك قائلاً)) : إن ثبات تلك القلنسوة بهذه الدواء ،وان اتفاقهما. رباط كل رغيبة وسبب كل عليمة ومتى قطعت هذه زالت تلك فان عزم على تغييري فليتزود للاحتياط قبل وقوعه (فوجه السلطان ملكشاه رسالة إلى وزيره جاء فيها)) :ان كتب شريكي في الملك ويدك مع يدي في السلطنة،فلذلك حكم ،وان كنت نائبي وبحكمي فيجب أن تلتزم حد التبعية والنيابة وهؤلاء أو لكن قد استولى كل واحد منهم على كورة عظيمة وولي ولاية كبيرة،ولم يقنعهم ذلك حتى تجاوزوا أمر السياسة وطمعوا إلى أن فعلوا كذا وكذا .. ((وعندما وصلت رسالة السلطان على نظام الملك رد على السلطان رد من كان معتدا بنفسه) قولوا للسلطان ان كنت ما علمت اني شريك في الملك فاعلم فلك ما ذلك هذا الامر الا بتدبيري ورأيي وان ثبات هذه القلنسوة معذوق بهذه الدواة وان اتفاقهما رباط كل رغيبة وسبب كل غنيمة،ومنى أطبقت هذه زالت تلك فان عزم على تغيير ليتزود للاحتياط قبل وقوعه وليأخذ الحذر من الحادث امام طروقه قولوا للسلطان علي مهما أردتم ،فقد أسمني ما لحقني من توبيخه وقت في عضدي ((،ولم يجروء السلطان السلجوقي على عزل وزيره بل أثر التخلص منه بسلام واتهمت الباطنية بقتله سنة 485هـ 1092 /م لكن السلطان لم يعش بعد سوى خمسة وثلاثين يوماً

ز -السلاجقة وعلاقتهم مع الخلفاء العباسيين لقد رأينا في فترة التسلط البويهي مقدار التجاوزات على الخلفاء العباسيين وكان البويهيون لا ينتمون لنفس مذهب الخليفة العباسي حيث انهم كانوا زيدية ولما جاء السلاجقة واحتلوا العراق وكانوا ينتمون لنفس مذهب الخلافة العباسية والذي من المفترض أن يعاملوا الخليفة العباسي باسلوب أفضل مما كان يعامله به البويهيين ،لكننا نجد أن الحالة سبان،حيث تعرض الخلفاء العباسيين إلى اشكال من الاهانات والتجاوزات التي قام بها السلاجقة ضدهم،ومن هذه الممارسات :

ادخل السلاجقة عادة تقبيل الأرض بين يدي الخلفاء العباسيين،وهي عادة غير عربية كما ذكرنا ذلك عند الحديث عن التجاوز البويهي على الخلفاء ،وقد مارس هذه العادة السلطان طغرلبيك عندما دخل مدينة بغداد اثناء الاحتلال السلجوقي العراق ،كما مارسها في عام 449هـ 1057/م ،وكرر هذه الممارسة في عام 451هـ 1059/م ،وكان السلطان السلجوقي يتظاهر باحترام الخليفة العباسي امام الناس لأنه هو الذي يعطيه الشرعية في حكم العالم الإسلامي ،بالمنشور الذي يصدره الخليفة العباسي -2اثارة الفتن المذهبية :لابد المحتل من أن يثير الفتن المذهبية والطائفية لأنها سبب وجوده وسبب استمرار هذا الوجود ،ففي عام 475هـ 1082 /م ارسل نظام الملك وزير السلطان السلجوقي ملكشاه احد الوعاظ ليحاضر في المدرسة النظامية،فتعرض إلى معتقدات الناس ،مما اثار غضب الناس في مدينة بغداد،وتكرر هذا العمل في الاعوام 478هـ 1085 /م بين اهالي الكرخ والمحلات الأخرى ،وكذلك في عام 481هـ 1088م وفي عام 482هـ 1089 /م عين ابنه المستظهر بالله وليا للعهد فثارت ثائرة السلطان السلجوقي الذي قاد جيشا وتوجه به الى بغداد وهند بلقي الخليفة العباسي من الفائدة بغداد ووقعت الخلافة في مشكلة كبيرة لولا أن الوفاة ادركت السلطان السلجوقي ،وحلت تلك الأزمة السياسية ه انتزاع التقويض بصلاحيات الخليفة عمل السلاجقة بكل ما في وسعهم من أجل السيطرة على الأمور في العراق وجني أكبر قدر من الصالهم،ومهما كانت جهة هذه الاموال ومصدرها،فأخذ السلاجقة يعيدون الولاة ويضمدونهم المناطق في مختلف أرجاء العراق بعد أن حصلوا هم على التعريض بحكم العراق وبقية المناطق الاسلامية من الخليفة العباسي الذي أغدق عليهم الألقاب التي طالما ما حلموا بها فقد خطب طغرلبيك في بغداد تحت اسم السلطان ركن الدولة ابا طالب محمد بن ميكائيل يمين أمير المؤمنين (كما كتب السلطان السلجوقي الب ارسلان في الخليفة العباسي أن يمنحه لقب الولد المؤيد (فلقيه الخليفة ببـ)ضياء الدين عضد الدولة (،وطلب السلطان السلجوقي ملكشاه من الخليفة أن ينعم عليه بلقب يستحقة قلقبه ملك الملوك عضد الدولة وتاج الملة عدة أمير المؤمنين (وطالبوا الخلافة العباسية بتقديم المال لهم حتى في لحرج الظروف التي كانت تمر بها الخلافة او الخليفة العباسي،فقد ارسل طمر لبيك وزيره عميد الملك الكندري إلى الخليفة العباسي القائم بأمر الله يطلب منه مالاًكثيراًوهو في مجلس عزاء ابنه ذخيرة الدين محمد بن القائم ،مما أثار استياء الخليفة واهل بغداد من هذا التصرف المشين ،حيث لم يحدث أن طولب شخص بما عليه من مال في مجلس عزاء،فكيف بمطالبة الخليفة نفسه الذي لم يكن لديه المال بل ان كل المال اصبح بيد السلاجقة كما ضمنوا المدن والقصبات بمبالغ من المال فقد ضمنوا بغدر أكثر من مرة وواسط والبصرة ،كما سيطروا على واردات الدون وطلبوا ان تحمل الى الري بدلاًمن العراق،وسيطروا على أمور العراق الادارية بواسطة العميد المسؤول الاداري (او بوساطة الشحنة القار العسكري في بغداد (،وقد عبر الوزير نظام الملك عن سوء سلوك السلاجقة فقال :

)بان (الامراء السلاجقة لا يتورعون عن ارتكاب عشر جرائم من أجل الحصول على دينار واحد).

ح الخلافة العباسية ومقاومة النفوذ السلجوقي لم يقف الخلفاء العباسيون والناس في بغداد موقف المتفرج على يجري في بلدهم اثناء الغزو السلجوقي وما رافقه من انتهاكات فيه دخول السلاجقة بغداد وسيطرتهم على أموال الناس ومنازلهم لحد الخليفة القائم بأمر الله على هذا التصرف ،وارسل الى السلطان السلجوقيطغرلبيك بان يوقف هذه الاعمال،فاضطر إلى التدخل واوقف اعما الذهب والسلب التي قام بها الجند السلاجقة واخراجهم من دو الناس كما امر الخليفة العباسي المقتدي بالله بطرد جميع الأتراك من حاشية تركان خاتون من بغداد بعد أن تعدوا بالضرب ع احد الافراد من سكان بغداد فاخرجوا في أقبح صورة من بغداد ولم يقتصر الأمر على الخلفاء العباسيين بل امتد غضب الشارع في بغداد ضد الوجود السلجوقي فجرت حالات من الغضب العارم ضد الوجود السلجوقي مثلما حدث سنة 447هـ1055/م وما حدث سنة 453 هـ 1061 /م وفي عام 461هـ / 1069م ،حتى أنهم منعوا الخطيب من القاء خطبة الجمعة